مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الخامس عشر

(١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م)

١٥

مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٧ هـ — ١٩٦٧ م

القاب الغناء ومصطلحاته

نص مستخرج من كتاب « مسالك الابصار في ممالك الامصار »
لابن فضل الله العمري

الدكتور احمد عبد الستار الجواري

ما زالت المصطلحات الغنائية القديمة مجهولة العلاقة بالمصطلحات الحديثة المعروفة في عصرنا هذا ، وما زال تطور الموسيقى العربية والشرقية بين القديم والحديث غير معروف لجمهرة الباحثين ولا سيما الذين يعنون بالعلاقة بين الغناء والشعر . وأغلب المطلعين على تاريخ الموسيقى والغناء يصرحون بان ثمة حلقة مفقودة بين أصول الغناء القديم الذي ورد ذكر ضروبه والحانه في كتاب الأغاني وبين الغناء الحـــديث الذي سميت ضروبه والحانه باسماء أعجمية أغلبها مأخوذ من اللغة الفارسية .

ولعل من بيان الحقيقة أن نقول إن الباحثين في تاريخ الأدب يقرأون في كتاب الأغاني لابي الفرج الاصبهاني أسماء ومصطلحات في الاصوات التي يوردها فلا يفهمون من حقيقتها شيئاً ولا يدركون صلتها بالغناء العربي الشرقي الحديث ، بل قد يتوهم بعضنا أن هذا الغناء الذي نعرفه اليوم منحدر من اصول اعجمية بسبب المصطلحات والأسماء الأعجمية .

وقد تهيأ لي أن اعثر في أثناء البحث في كتاب ابن فضل الله العمري الموسوم (بمسالك الابصار في ممالك الامصار) على نص يربط بين القاب الغناء ومصطلحاته في القديم والحديث وأحسب ان في اذاعته بين الباحثين في تأريخ الأدب وتأريخ الموسيقى فائدة تجعلهم يقفون

على أمر تفرد به صاحب هذا الكتاب ولم يسبقه اليه سابق . ان هذا النص بقي مجهولا حتى الآن وانه سينير السبيل للبحث في تأريخ الموسيقى والغناء وفي تأريخ الأدب بعض الشيء .

— ١ —

ويبحث هذا النص في مصطلحات الالحان المعروفة في كتب الاقدمين اما ضروب الغناء فقد أوضحها وبيّن المعاني المقصودة من اسمائها (اخوان الصفا) في رسائلهم المشهورة ولعل من تمام الفائدة ان نأتي على ما ذكروه لعل ان يكون في ذلك عون على ايضاح تلك المصطلحات وابراز معانيها بحيث ينتفع بذلك من يبحث في تأريخ الفن من أهل الاختصاص فيه والدراية به .

وقد فسر اخوان الصفا ضروب الغناء تفسيراً يقوم على علاقتها بالضرب على العود واتخذوا من النقرات التي يخرجها الضارب أساساً لذلك وجعلوا الازمان التي بين كل نقرتين هي الأصل الذي تتنوع به الاضرب بين ثقيل وخفيف وما يتفرع منها .

قالوا :

إن كل نقرتين من نقرات الاوتار وايقاعات القضبان فلا بد من ان يكون بينها سكون زماناً طويلا كان او قصيراً وانه اذا تواترت تلك الاوتار وايقاعات تلك القضبان تواترت أيضاً سكونات بينها . ثم لا تخلو أزمان تلك السكونات من ان تكون مساوية لازمان تلك الحركات أو تكون اطول منها واذا كانت اقصر منها فالمتفق عليه بين اهل هذه الصناعة ان زمان الحركة لا يمكن ان يكون اطول من زمان السكون الذي من جنسه فان كانت ازمان السكونات مساوية لازمان الحركة في الطول ، ولا يمكن ان يقع في تلك الازمان حركة اخرى ، سميت تلك النغمات عند ذلك العمود الاول وهو الخفيف الذي لا يمكن ان يكون أخف منه لانه ان وقعت في تلك الازمان حركة اخرى صارت نغمتها متصلة بنغمة النقرة التي قبلها والتي بعدها وصار الجميع صوتاً متصلا . وان كانت ازمان تلك السكونات طولها بمقدار ما يمكن ان يقع فيها حركة اخري سميت تلك النغمات العمود الثاني والخفيف الثاني » .

« وان كانت ازمان تلك السكونات اطول من هذه بمقدار ما يمكن ان يقع فيها حركتان سميت تلك النغمات الثقيل الاول .

وان كانت تلك الازمان اطول من هذه بمقدار ما يمكن ان يقع فيها ثلاث حركات سميت تلك النغمات الثقيل الثاني [1] » .

والظاهر ان هذه الاضرب كانت هي الأصول التي تفرعت منها الالحان ثم تركب من تلك الالحان الحان أخرى وما يزال الترتيب ممكناً حتى الآن ذلك لان الالحان تقوم على استعمال الاصابع في أداء الضروب التي أشرنا اليها . فمن الثقيل الاول مثلا يمكن ان تستخرج الحان باطلاق واحد من الاصابع الثلاثة التي تستخدم في الضرب على اوتار العود او تعليقه أو ما الى ذلك .

ومن هنا نستطيع ان نفسر قدرة بعض اهل الفن على ابتكار الالحان واستخراج الانغام الجديدة فهم يزاوجون بين الالحان ويمزجون بينها مزجاً فنياً يخرج منها أشياء جديدة .

— ٢ —

اما كتاب المسالك والممالك فمعلمة موسوعة وضعها شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري المولود بدمشق في الثالث من شوال سنة سبعمائة الهجرية . وابن فضل الله العمري علم من اعلام الادب والمعرفة في عصره ، فقد كان معروفاً بالابداع في الترسل حتى كان يقرن فيه بالقاضي الفاضل ، وكان اعلم الناس بتاريخ المغول من لدن جنكيز خان وكذلك ملوك الهند والاتراك وكان امام وقته في معرفة المسالك والممالك وخطوط الاقاليم والبلدان وخواصها وكان ايضاً على جانب من الفقه حتى لقد اذن له العلامة شمس الدين الاصفهاني في الافتاء على مذهب الشافعي [2] .

والنسخة التي بين ايدينا نسخة مصورة عن مخطوط محفوظ في مكتبة آيا صوفيا في الاستانة وهي محفوظة في دار الكتب المصرية تحت رقم ٨ معارف عامة . وقد استكمل

(١) رسائل اخوان الصفا ج ١ ص ١٢٥ — ١٢٦ ط مطبعة الآداب .

(٢) فوات الوفيات لابن شاكر ج ١ ص ٧

اجزاءها العلامة احمد زكي باشا رحمة الله عليه وطبع منها الجزء الاول محققاً سنة ١٣٤٢ الهجرية الموافقة لسنة ١٩٢٤ الميلادية .

والنسخة مكتوبة بقلم معتاد وخطها واضح وفي أول صفحاتها :

« آيا صوفية كتبخانة سندن [١] .

السادس من مسالك الابصار في ممالك الامصار تأليف الامام البارع شهاب الدين احمد بن يحيى بن فضل الله العمري عفا الله عنه » .

وتحتها بخط مغاير له :

« برسم خزانة السلطان المالك الملك المؤيد شيخ عز نصره بالجامع الذي أنشأه بباب زويله عمرها الله ببقايه » ثم كتب تحت ذلك العبارة الآتية :

« الحمد لله وقف هذا الجزء وما قبله وما بعده الملك المؤيد أبو النصر شيخ ، على طلبة العلم بالجامع المؤيدي وشرط ان لا يخرج منه » .

واذا علمنا ان الملك المؤيد من رجال المائتين الثامنة والتاسعة [٢] أدركنا ان النسخة مقاربة في زمنها لزمن المؤلف اذ هو من رجال المائة الثامنة كما سبق بيان ذلك .

وقد ذكر المؤلف في مقدمة الكتاب انه وضعه في ايام السلطان محمد بن قلاوون فقال :

« وشرعت فيه في ايام من مأننا [٣] باحسانه وأمننا في سلطانه سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان ابن السلطان السيد الكبير الملك الناصر العالم المجاهد المرابط المثاغر المؤيد المظفر ناصر الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين وارث الملك ملك العرب والعجم والترك ... أبي المعالي محمد ابن مولانا السلطان الكبير الشهيد أبي المظفر قلاوون [٤] » .

---

(١) معناها من مكتبة أيا صوفية .
(٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ١٨٦ .
(٣) مأنه ؟ احتمل مؤونته « الضبط »
(٤) مسالك الابصار فى ممالك الامصار ج ١ ص ٥ ط احمد زكي باشا .

وقد جعل ابن فضل الله العمري كتابه قسمين بحث في القسم الاول عن الارض وأقاليمها وصفاتها وفي القسم الثاني عن سكان الارض .

وقد تناول في القسم الثاني طوائف الناس من العلماء والفقهاء والأدباء والحكماء باصنافهم ، وجعل منهم أهل الموسيقى وقد جعل الجزء السادس من كتابه للكلام على هؤلاء ، وعنه نقلنا النص الآتي بعد ، وهو من هذا الجزء بمثابة التمهيد ثم تتبعه تراجم المشاهير من اعلام الموسيقى والغناء .

« بسم الله الرحمن الرحيم ربنا أفرغ علينا صبراً وأعن

وممن يعد [1] من الحكماء أهل الموسيقى اذ هو من الطبيعي وقد اتيت منهم على مشاهير أهل الغناء ممن ذكره أبو الفرج الاصبهاني في كتابه الجامع وفي كتاب الاماء وممن ذكره ابن باقيا النحوي البغدادي [2] في كتاب المحدث ثم ذيلت ذلك بما نظرته في الكتب والتقطته منها التقاط الفرايد من السحب وواخيت أهل الجانب الشرقي بامثاله في الجانب الغربي ومصر وان لم يطاول الما السما . وسقت في الجانبين الى ازماننا سياقة لم آل فيها الجهد وأتيت به [3] على ترتيب ما وقع الاختيار منه وحيت على حكمه الدليل [4] عليه . ومن تأمل ما آتيته ، علم مقدار جهدي المبذول في تحصيل ما حصلته ، وكبر لديه ما جمعته ، وشهد لي بأني لم أقصر وبالفضل لمن اتبعته » .

« ورأيت بين القدماء والمحدثين اختلافاً في القاب الانغام التي صنعوا فيها الاصوات اختلافاً في الاسماء لا في المسميات وكنت [5] وقفت على كتاب ابن باقيا في الاغاني وهو على طريقة القدماء ولم اجد على طريقة المحدثين ما ارجع اليه ولا انتهم منه . وسألت جمال الدين عمر بن خضر بن جعفر [الذي] عرف [6] بابن زادة الدشتي [7] المشرقي عن

(١) في الاصل بعد .
(٢) لم اعثر له على ترجمة ولا لكتابه على ذكر في ما تهيأ لي من المراجع وكتب الطبقات .
(٣) في الاصل (و ا ت) . (٤) في الاصل بالدليل .
(٥) في الاصل وكتب .
(٦) ليس هذا في الاصل والسياق العربي الفصيح يقتضيه وان اتبع الأصل متأخرو المترجمين .
(٧) في الاصل الدبسي . وفي الدرر الكامنة : عمر بن خضر بن جعفر بن زادة الدشتي جمال الدين =

(هذا ليبيّنه، وهو علم هذا الشأن بالشام، فلجلج ولم يبين غير انه قال : إنما غيرت التسميات إذ أنشأ التوثي صاحب الارمال الأربعة والاربعين ضرباً ثم سراج الدين الخراساني صاحب شيوه وكلاهما من أهل ما وراء النهر . وكان ذلك بحضور الشيخ الفاضل شمس الدين محمد بن شكر الديري [1] فجعل يدله على الطريق وهو تارة وتارة [2] فآخر ما انتهى معه اليه ان قال جسّ لى هذه الابيات ثم جعل ينشده بيتاً بيتاً من الابيات التي فيها اصوات الاول المسماة بمصطلحهم الى أن ظهر له اتفاق القدماء والمحدثين في المغنى واختلافهم في اللفظ فنزّل أسماء المحدثين على اسماء القدماء ورتب في هذا المقال وفعل ما يعجز القرائح ويدق على الافهام [3] ثم لخص فيه ما مضمونه :

اعلم أن الاوايل رحمهم الله رتبوا الحانهم على نوعين ضرب ولحن ، وسميات بأسماء اصطلحوا عليها ،وجعلوا انواع الضروب ستة : ثقيل اول وثقيل ثان وخفيف الثقيل ورمل وخفيف الرمل والهزج . وهذا كما يقال إن الضرب فيه تفرقات ثقال وخفاف وخفاف الخفاف. واما الاصابع فهي الالحان عندهم وهي [4] ست كذلك المطلق والمعلق والمحمول والمسرح والمزموم والمجنب . واذا ضربت ثلاثة في ستة كانت ثمانية عشر ،رجوعاً الى ان الضرب مع اللحن يختلف مع الثقال والخفاف وخفاف الخفاف فيختلف [5] الصوت مع الضرب بالقوة والضرب فيسمى كل واحد باسم ولهذا يقولون مطلق السبابة والوسطى

ـــ ابو سعيد الكردي المغني كان ابوه قد اتصل بهولاكو ثم سخط فقتله وباع اولاده . قدم الشام وكان يعلم فيها الغناء وصنف الكنز المطلوب في الدوائر والضروب واجاد فيه (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٣ ص ٢٦٤) والصواب « الداسني » نسبة الى الاكراد الداسنية المشهورين .

(١) هو محمد بن شكر الديري الشافعي الناسخ الدمشقي نسخ الكثير وكان مقرئاً بالسبع عارفاً بعلم الحرف مشاركا في علوم اخر مات سنة ٧٥٣ هـ (الدرر الكامنة في اعيان المائة الثامنة لابن حجر ج ٣ ص ٤٥٦) .

(٢) كذا في الاصل ويبدو ان قد سقط منها ما جعلها بلا معنى .

(٣) في الاصل (ويدق عنها الافهام) ولعل الصواب ما أثبتناه

(٤) عائد على الاصابع . والاصبع يؤنث .

(٥) في الاصل فتخالف .

والخنصر والشهادة او مقبوضها ، كل ذلك اشارة منهم الى الالحان المختلفة فسموا كل لحن باسم علم عليه يعرف به لئلا يضل [1] العلم عند التعليم .

وكذلك فعل المتأخرون من الفرس حين سموا هذه الاسماء الاعجمية المصطلح عليها في زمننا وهي الراست والعراق والزيلكفند والاصبهان والزنكلا والبزرك والرهوي [2] والحسيني والماآه وابو سليك والنوى والعشاق . وآوازها [3] وهي النيروز والشهناز والسلمك والحجاز والكوست [4] على اختلاف في هذه التسمية .

فهذه تلك الستة [5] تضاعفت بحسب التركيب فبلغت ثمانية عشر . فالمطلق هو الراست والمعلق هو العراق والمحمول هو الزيلكفند والمنسرح هو اصفهان والمزموم زنكلا والمجنب بزرك .

ثم تركيب الستة الباقية من الستة الاولى فالرهوي من المطلق والمعلق والحسيني من المحمول والمنسرح والماآه وابو سليك من المزموم والنوى والعشاق من المجنب .

ثم اخذ التركيب النيروز من المطلق والمعلق لاختلاف الضرب ، ثم الشهناز من المحمول والمنسرح [6] ثم السلمك من المزموم والمجنب ثم الزركشي من المحمول والمنسرح والحجاز من المزموم والكوشت من المجنب .

اما الماخوري والمحصور والمشكول فتأخر تسميته مع متأخري اوايلهم وكذلك غيرها ، وتركيبها كتركيب الشاذ عند المتأخرين والله اعلم » .

---

(١) في الاصل يضل

(٢) في الاصل الراهوي وقد أثبتها بعد اسطر بلا ألف ولعل ذلك هو الصواب ، منسوباً إلى الرها من مدن الجزيرة .

(٣) آواز بالفارسية معناه الغناء ولعل الستة المذكورة بعد مشتقة من الستة المذكورة وهي اصول الالحان

(٤) يعرف اليوم بالكوشت . هذه خمسة وقد ذكر السادس بعد وغفل عنه هنا وهو الزركشي .

(٥) في الاصل الست

(٦) في الاصل للمنشرح وهو تصحيف .